

مناقب أهل البيت عليهم السلام من خلال المباهلة، وآية التطهير

السنة العشرون
العدد ١٠١٥ - ٢١ / ذو الحجة / ١٤٣٣ هـ
الموافق ١ / تشرين الثاني / ٢٠١٢ م

محاور الموضوع الرئيسية :

١. تبين مقام أهل البيت عليهم السلام من خلال آية التطهير
٢. تبين مقام أهل البيت عليهم السلام من خلال آية المباهلة

الهدف :

تبين بعض مقامات ومناقب أهل البيت عليهم السلام من خلال آيتي التطهير والمباهلة

تصدير الموضوع :

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).

ويقول تعالى في آية المباهلة:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٢).

(١) (الأحزاب/ ٣٣)

(٢) (آل عمران ٦١)

تمهيد

في القرآن الكريم آيات عديدة نزلت في شأن أهل البيت ومنهم فاطمة الزهراء عليها السلام والأحاديث النبوية أفاضت في بيان مقامهم ومناقبهم وعصمتهم وطهارتهم وإتبارهم وكرمهم، وبيان مكانتهم وفضائلهم، وعن حقهم علينا والمسؤوليات.

بل لقد ورد عن علي عليه السلام أنه قال: «نزل القرآن أرباعاً: فربع فينا، وربع في عدونا، وربع سير وأمثال، وربع فرائض وأحكام، ولنا كرائم القرآن»^(١).



(١) بحار الانوار ج ٣٦ ص ١١٧

كان الهدف من جمعهم تحت الكساء؟

كان النبي ﷺ كان يريد أن يحدّد هؤلاء ويعرفهم تماماً، ويقول: إن الآية أعلاه في حق هؤلاء خاصة، لئلا يرى أحد أو يظن ظان أن المخاطب في هذه الآية كل من تربطه بالنبي ﷺ قرابة، وكل من يعدّ جزءاً من أهله، حتى جاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ قد كرّر هذه الجملة ثلاث مرات: «أللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

ونقرأ في روايات عديدة أخرى أنّ النبي ﷺ بقي ستة أشهر بعد نزول هذه الآية ينادي عند مروره من جنب بيت فاطمة سلام الله عليها وهو ذاهب إلى صلاة الصبح: «الصلاة يا أهل البيت ! إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا».

وقد روى الحاكم الحسكاني هذا الحديث عن أنس بن مالك^(٤)

٢- آية المباهلة

يقول تعالى في آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٥).

سبب نزول هذه الآية

في سبب نزول هذه الآية أن النبي

١- آية التطهير

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٦).

تحديد مفهوم أهل البيت عليهم السلام

ينبغي أن يُعلم أنّ مفهوم أهل بيت رسول الله ﷺ يعني أشخاصاً محددين منهم ولا يشمل نساءه وكل قرابته. فقد روى نزول آية التطهير في حق فاطمة وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام الكثير من أصحاب السنن والكتب الحديثية والتاريخية المعتبرة لدى المسلمين سنة وشيعة. ومنها: ما رواها «الثعلبي» عن «أم سلمة» في تفسيره، وذلك أن النبي ﷺ كان في بيتها إذ أتته فاطمة عليها السلام بقطعة حرير، فقال النبي ﷺ: «ادعي لي زوجك وابنيك - الحسن والحسين -» فأتت بهم فطعموا، ثم ألقى عليهم النبي ﷺ كساءً له خبيراً وقال: «أللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» فنزلت آية التطهير، فقلت: يا رسول الله وأنا معهم؟ قال: «إنك إلى خير» ولكنك لست منهم^(٧).

إن هذه الرواية والكثير منها تصرّح أن زوجات النبي ﷺ لسن جزءاً من أهل البيت عليهم السلام في هذه الآية.

وهنا سؤال يلفت النظر، وهو: ماذا

(٢) (الأحزاب/ ٣٣)

(٣) مجمع البيان ذيل الآية مورد البحث.

(٤) شواهد التنزيل، المجلد ٢، صفحة ١١.

(٥) (آل عمران ٦١)

إليه يصعد الكلم الطيب

الأولين وكانوا يمرأى وسمع من المباهلة، فهذا فضل لم يسبقهم إليه سابق وذلك لمكان قربهم من الله وكرامتهم عليه وقديستهم المتميزة ومقامهم العظيم. هذه الكرامة والعظمة وقرب المنزلة والمهابة والجلالة أدركها الخصم من أول نظرة إلى وجوههم، فغشي بصره وأرتد فارتعدت الفرائص وخفض لها جناح الذل.

٥- لقد التمس النبي ﷺ منهم التأمين على دعائه فقال إذا دعوت فأمنوا واستعان بهم في المباهلة ثم نبتهل بصيغة الجمع لتيقن فضيلتهم ومنزلتهم عند الله، فإن كثرة الأفاضل أدخل في الاستجابة.

٦- لقد جعل الرسول ﷺ علياً ﷺ نفسه ﷺ، فهو تجسيد لشخصية الرسول ﷺ لما فيه من الفضائل والكمالات التي اجتمعت في النبي ﷺ إلا النبوة.

وهو في آية التباهل نفس ال

مصطفى ليس غيره إياها
لقد أخرج الله أهل البيت ﷺ
ليباهل أعداء لما لهم من حرمة على الله ومكانة وقديسية وضمان استجابة دعاء وليعده الأمة لما بعد رسول الله ﷺ وأن أهل البيت ﷺ المحور الذي لا بد للأمة أن تلتف حوله وقد قال الزمخشري: «وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء»^(٢).

اللعنة وبهله الله: لعنه وأبعده من رحمته من قولك: «أبهله» إذا أهمله ... واصل الابتهال هذا ثم أستعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن إلتعناً.

٢- إن هذا برهان واضح على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ. لأنه من الواضح فيما ذكره كل من تحدث عن المباهلة أنهم لم يستجيبوا للمباهلة والتقوا بأن يصلحوا النبي ﷺ.

٣- إن تعيين شخصيات المباهلة لم تنشأ من حالة عفوية ارتجالية أو تأثيرات عائلية بل بتوجيه إلهي واختيار رباني هادف، فقد تحدى بهم أعداء الإسلام وجعل خصومهم كاذبين معرضين لللعنة والعذاب ...

وقد ورد عن النبي ﷺ حينما سئل عن هذا الاختيار قوله ﷺ: «لو علم الله تعالى أن في الأرض عبداً أكرم من علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ لأمرني أن أباهل بهم، ولكن أمرني بالمباهلة مع هؤلاء فغلبت بهم النصارى».

٤- إن اختيارهم لهذه المهمة العظيمة واختصاصهم بهذا الشأن الكبير، وإيثارهم فيه على من سواهم حيث أن النبي ﷺ باهل بهم، فلم يدع من النساء شيئاً من أمهات المسلمين، مع أنهم كن في بيوته وعلى مرأى وسمع، ولم يدع مع سيدي شباب أهل الجنة أحداً من أبناء الهاشميين ولا أبناء الصحابة على كثرتهم.

ولم يدع من الرجال مع علي ﷺ أحداً لا عمه العباس ولا أحد من كافة عشيرته الأقربين أو من السابقين

دعا نصارى نجران إلى الإسلام فأقبلت شخصياتهم، وكان العدد يربو على السبعين، ولما وصلوا المدينة المنورة التقوا برسول الله ﷺ وجالسوه مراراً وسمعوا حديثه ودلائله وما كان عندهم ردّ وجواب. ولما أورد رسول الله ﷺ الدلائل على نصارى نجران: قال ﷺ «إن الله أمرني إن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم»، وكان رسول الله ﷺ خرج وعليه مرط من شعر أسود، وكان قد أحضن الحسين ﷺ وأخذ بيد الحسن وفاطمة ﷺ وتشمي خلفه وعلي ﷺ خلفها وهو يقول إذا دعوت فأمنوا، فقال أسقف نجران: «إني لأرى وجوهاً لو سألتوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرائي إلى يوم القيامة، ثم قال ﷺ: ولو لاعنوا لمُسَخُوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولا ستأصل الله نجران حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا»^(١).

بعض دلائل آية المباهلة

هذا النص لا شك أنه يحمل العديد من الدلالات الهامة والعلامات التي تستوقف الإنسان:

١- إن معنى المباهلة كما في الكشف للزمخشري، ثم نبتهل، ثم نتباهل بأن نقول: بهلة الله على الكاذب منا، ومنكم والبهلة بالفتح والضم:

(١) الرازي: التفسير الكبير، ج ٨: ص ٨٥